مظاهر الرومانسية في شعر الطبيعة في العصر الأموي والعباسي

أ.د. حسن دخيل الطائي م.د. علي جبار جلوب العيساوي

جامعة بابل/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

(manifestations of romance in the poetry Nature of the Umayyad and Abbasid periods)

Prof. Hassan Dakhil Al-Tai Ali Jabbar Chaloop AL- Essawi
BABYLON UNIVERSITY/ COLLEGE OF EDUCATION for Human Sciences /ARABIC DEPARTMENT
lalysawy40@ gmail.com

abstract:

This research sought to highlight the relationship in the love of nature between the Western Romantic poets and the ancient Arab poets of the Umayyad and Abbasid eras, and that it is a safe haven for the Romans, which surrounded them from the restrictions of the city and the city and all that was corrupted by the laws that restricted his freedom, To the mother nature where warmth and safety, as well as nostalgia for childhood and simplicity and instinct found in the first nature, and this is met by Western poets such as (Wordsworth) and the corresponding old Arabs such as the pine and other. Note that this research is based on a doctoral dissertation in progress for the researcher, and tagged (manifestations of romance in the poetry of the Umayyad and Abbasid periods).

Keywords: Themes - Romance - Nature - Refuge - West – Arabs.

الملخص:

سعى هذا البحث لإبراز العلاقة في حُبّ الطبيعة بين الشعراء الرومانسيين الغربيين وبين الشعراء العرب القدامى في العصرين الأموي والعباسي، ومن إنّها الملاذ الآمن للرومانسيين مما احاط بهم من قيود المدنية والمدينة، وكُلّ ما أفسده الإنسان عِبرَ ما وضعه من قوانين قيدت حريته زمكانياً، ممّا جعله يلجأ إلى الطبيعة الأم حيث الدفء والأمان، كذلك حنينه إلى الطفولة والبساطة والفطرة التي وجدها في الطبيعة الأولى، وهذا ماتلمسناه عند الشعراء الغرب أمثال(وردزورث) وما يقابله من العرب القدامى أمثال الصنوبري وغيره. علماً أن هذا البحث مستل من إطروحة دكتوراه قيد الإنجاز للباحث، والموسومة بـ(مظاهر الرومانسية في شعر العصرين الأموي والعباسي).

الكلمات المفتاحية: المظاهر – رومانسية – طبيعة – غرب – عرب.

مظاهر الرومانسية في شعر الطبيعة في العصر الأموي والعباسي

لا شك أنّ الإنسان حزمة من المشاعر والأحاسيس، يُحِبّ ويخاف ويأمن ويشعر في الغربة تارة، والحنين تارة أخرى، فجاءتْ الطبيعة لتكون له ذلك المأوى والمعين، فـ(الطبيعة الجميلة مهوى أفئدة الناس مهما تفاوتت بيئاتهم وثقافاتهم، والإنسان بفطرته كَلِفٌ بالطبيعة يفزع إليها في اشجانه ليجد في احضانها العزاء والسلوى)[١]وهذا ديدن الشعراء أصحاب الحسّ المُرهف، وأُشاطر من يقول بأنّ(الشاعر ابن الطبيعة؛ مِنها نشأ

وفي أحضانها ترعع، وبمَثلها العليا بلغ الكمال)[٢] وبهذا قد نستطيع القول إنّ شعر الطبيعة من أقدم الفنون العربية، بغض النظر عن كونه مصطلحاً حديثاً.

ونجد أنّ الطبيعة – ومنها النبات– يرتبط بالعاشق الرومانسي ارتباطاً وثيقاً، عِبرَ ما تلمسناه من أبيات شعرية رومانسية قديمة وحديثة، يخلع فيها الشاعر العاشق مشاعره على تلك الأشجار والأعشاب؛ لتكون محط همومه وأحزانه التي جناها عِبرَ مسيرة حُبّهِ الطويلة، فلذلك نجد مجنون ليلى قد ارتبط روحياً بتلك الأشجار مخاطباً إياها قائلا:

ألا هَل إلى شَمّ الخُزامي ونَظرَةٍ إلى قَرقَري قبلَ المماتِ سَبيلُ
فأشربَ من ماءِ الحُجيلاءِ شربةٍ يُداوَي بها قبل المماتِ عَليلُ
فيا أثلاتِ القاع قد مَلّ صُحبتي مَسيري فهل في ظلّكنَّ مقيلُ
ويا أثلات القاع ظاهِرُ ما بدا بِجسمي على ما بالفُؤادِ دليلُ
ويا أثلات القاع من بَينِ توضحٍ حنيني إلى أفيائكُنَّ طويلُ
ويا أثلات القاع قلبي موكّلٌ بكنّ وجدوى خَيركُنَّ قليلُ [٣]

وهنا الشاعر يحن إلى منطقة بذاتها وهي منطقة(قرقري) و(توضح) التي فيها ورد الخُزامي وأشجار الأثل التي يستظل بفيئها وينعم بأجوائها، فهي تُعطيه زخماً جديداً في الحياة وتشعره بالنشوة والفرح، فيصف لنا هذه المشاعر، مشاعر الفرح والسرور والإنطلاق في ظلّ مكان أحبّه وهي الطبيعة، فهي الأم للرومانسي يجد في حضنها ملاذاً له يشعره بالطمأنينة، ويبدو أنّ الشاعر كان بحاجة إلى أن يناشد تلك الأعشاب والأشجار ليخلع عليها ما هو عليه من وجد وحزن يسير به إلى الموت حيث نهاية هذه الآلام والاحزان، وقد باح الشاعر عن ذلك بالتكرار الذي جاء في الأبيات الشعرية المذكورة التي تَمُتُ بصلة إلى القلق والخوف الذي أحاط الشاعر، ومن شدة الحُبّ الذي أضناه واتعبه يُشير الشاعر إلى أن مسيره الذي كان صاحب له في هذه الرحلة قد ملَّ وكَلّ، وهذا يدلّ على شدة رغبته للوصول إلى هذه الديار ويمتع نفسه بها، وهي من الصور التي اعتاد الرومانسيون ان يصدموا بها المتلقي، لذا نجده يتوسل بشجر الأثل ليُقيل ساعات الظهيرة تحت ظلالها.

فالطبيعة هي الجمال الذي أبهر الإنسان في كُلّ حين منذ أن خُلِق، فهو(ما أحسَّ به أهلُ بابل فعبدوه في(عشتروت) وشعر به اليونان فقدسوه في(أفروديت) واستفز قلوب الرومان فمجده في(فينيس) وأقامت له الإنسانية كلها معابد المجد في أعماق القلوب) فكانت لهم ملهماً وملاذاً[٤]، فالجمال يَكمُن في كُلّ أحساسٍ جميلٍ يُجسّدهُ شاعر مرهف قد مازجتْ روحه جمال الطبيعة، وإذا تأمانا في كلمات الصنوبري حينما يقول:

وَغُصنٍ على غُصْنٍ تُميّلهُ الصَّبا كما مال إلفٌ نحو إلفٍ يعانقُهْ
حدائق روضٍ يحسرُ العينَ حُسنُها وما كان حُسنُ الروض لولا حدائقُهْ [٥]

نجد صورة قد رُسمتْ بالوان الإحساس والشعور الحيّ، فإنّ التأمُّلَ في تعانق هذه الأغصان، وترجمة ذلك التعانق على أنّه إلفٌ مشتاق، هو ما أحسَّ به الشاعر من اشتياق قد خلعه على تلك الأغصان المتعانقة.

وإنَّ التّغني بالطبيعة أمر لا تحده مدة بعينها، فما قبل الرومانسية هناك من أراد أن يبرهن على وجود الله وقدرته ورحمته بعجائب الخلق وهو(بروك) الذي صوّر الطبيعة بإسهاب دقيق ولمسات جميلة لم يسبقه إليها أحد[٦]، وبهذا تكون الطبيعةُ ملكاً للجميع، كُلٌ يراها بعين تختلف عن الآخر، وكُلٌّ يخلع عليها ما فيه من مشاعر، وهذا حال أكثر شعراء الرومانسية في كُلِّ زمان ومكان، وليس لمدرسة الرومانسية تحديد زمن الالتفات إلى هذه الطبيعة التي تُبرهن وجود خالق قادر، وهناك رأي لـ(هوغو) يقول: (ان الله يتجلى أما مباشرة في الطبيعة وأما بواسطة الشاعر)[٧].

وقد فضّل الرومانسيون الغرب الطبيعة، فأحبوا النظر إلى العواصف وأمواج البحر والأديرة الصامته والقصور المهجورة، وأخذوا يبكون على الأطلال والآثار القديمة؛ لأنها تثير فيهم ذكرى جميلة عمّن غادروهم من أحباب، وأخذوا يتخيلون في تلك الآثار والأطلال أرواحاً تحسّ وتستجيب، فكأنها تَحُبُّ وتكره وتحلم، فيشاركونها مشاعرهم، لذا نجد الشاعر الرومانسي يُخاطب الأشجار والنجوم والصخور وأمواج البحر، وهذا ناتج عن رهافة أحساسهم ورقة مشاعرهم[٨]، وإذا ما أردنا أنّ نُحدد شعر الطبيعة فنجده يكون في الحيّ مما عدا الإنسان والصامت كالحدائق والحقول والغابات والجبال[٩]، وهذا ما عمِل عليه الشعراء الرومانسيون.

كما وأنّ(الطبيعة هي الملهم الأول للفنان؛ وذلك لأنها صادقة واضحة، إذا غضبت أنهمر مطرها الباكي، وإذا فرحت أشرقت شمسها الضاحكة، وإذا حزنت ساد ضبابها الكون وخنق النور في المهد، وأدخل الكآبة في صدور الفرحين، وربيع الطبيعة خُضّرة وغناء وحُبّ وشروق، وخريفها صُفّرة وتساقط وذبول)[١٠]، كما واهتمت الرومانسية بالطبيعة وما تحمله من جمال وعظمة في بحارها الهائجة وجبالها الشاهقة وغاباتها الغامضة والليالي المظلمة والأطلال البالية وأتخذوا الطبيعة أُمّاً ومكاناً للعزلة[١١]، وهذا ما حاول تجسيده الشعراء الرومانسيون في أبياتهم الشعرية؛ لأنّه ينطبق ونفسياتهم المتقلبة، وابن المعتز(ت٢٩٦هـ) من الشعراء الذين خاضوا في رحاب الطبيعة وخلعوا شيئاً من مشاعرهم عليها ما تَنُمُّ عن عمق أحساسه، فنجده يصوّر النجوم وهي في مِحرابِ الصلاة راكعة كأنها رهبان دير يرتدون سود الملابس فيقول:

نَبّهتُه ونجُومُ اللّيلِ راكِعةٌ   في محفلٍ من بَقايا ليَلِها جُونِ

ركوعَ رُهبانِ ديرٍ في صَلاتِهمُ   سُودٍ مَدارِعُهم شُمّ العَرانينِ [١٢]

وتأكيداً لقولنا في أنّ الآداب تنمو من جيل إلى آخر ومن عصر إلى آخر، نجد من يقول بارتباط شعر الطبيعة بالآثار اليونانية القديمة التي بلغت الطبيعة أبهى جمالاً في أدبهم، وأنّ شعراء الطبيعة الغربيين قد استمدوا وحيهم من اليونان، ومثال ذلك تلك الأعمال التي وصلتنا أمثال الإلياذة والأوديسا[١٣]، كما وأنَّ المتيمون الغربيون كانوا يصفون جمال الطبيعة في عين الراعي المتيم وما يسبغه الحُبّ عليها،إذ يربط بين طربه وطرب الطيور على الأغصان[١٤]، وبهذا يكون الاهتمام بالطبيعة سَبَقَ زمن المدرسة الرومانسية بكثير، وقد تكون هنالك هنالك –أيضا–علاقة وثيقة بين الرومانسية والفلسفة الأفلاطونية في الحُبِّ والعاطفة وارتباطها بالطبيعة[١٥]، وقد يثبت البحث أنّ هناك ثمة تلاقح فكري بين الأدب العربي القديم والآداب الغربية الحديثة أثر الحروب والفتوحات

وغيرها من عمليات التواصل الأجتماعي، وعِبر ما نستشهد به من أبيات شعرية حملتْ السمات والمشاعر القريبة مما كانت موجودة عند الغربيين، فالشاعر الصنوبري الذي عدّهُ المستشرق(آدم متز) آول شاعر للطبيعة في الأدب العربي[١٦]، جسّد عشقه للطبيعة في قصائد كثيرة، فقد جمع ما في الطبيعة من جمال وبهاء، يكلم هذا ويناغي ذاك ويصوّر تلك، وكأن الشاعر يحاول أن ينثر ما فيه من مشاعر على تلك الطبيعة التي ملئت الأرض بزهورها وأنهارها، والسماء بنورها الذي يلامس شقائق الرياض، فهذا الكون يحمل كُلّ ما في داخل الشاعر من مشاعر حُبّ وخوف وحزن.

وكان لليل والبدر والكرم والبلبل والحقول والنجوم صحبة مع الشاعر الرومانسي في مدرسة المهجر، كما كان للبحر منزلة رفيعة لا تقل عن منزلة الكواكب التي تتلاقى فيها الروح والطبيعة، فهذه الألهامات كانت مصدر بوح الرومانسي في العصر الحديث[١٧]، وَهي نفسها عند الشاعر في العصر الأموي والعباسي على حد سواء، فنجد قصائدهم زاخرة بالهروب إلى الطبيعة وخلع مشاعرهم عليها وإنّ لكُلٍّ دلالاته، فالليل وهدوؤه يختلف عن نظرة البحر وامواجه وقلقه وخوفه وعمقه والنظر إلى النجوم والبدر تختلف عن النظر إلى الغابات وتعانق وتشابك الأشجار العالية التي لا تكاد أن تُرى نهاياتها.

وهناك كثير من النقاد العرب المحدثين والذين يُعدّون من رواد الرومانسية الحديثة، يؤكدون على أنهم لم ينكروا التراث العربي القديم، ولم يكونوا مجددين على حساب هدم القديم من الأدب، وأنّما واصلوا هذا النماء والتطور[١٨]، ولذا تكون الطبيعة هي الطبيعة عند كُلّ الرومانسيين سواء أكانوا قدامى أم محدثين ممن بدت نظرتهم إلى الطبيعة تتجاوز أفق المشاهدات إلى كنه الأشياء، وحين يناجوها يكون على أساس أنها كائن حيّ يحسّ ويشعر ويفكر ويحنّ ويعطف[١٩].

ونجد الرومانسيين يعجبون بالرجال الذين يعيشون في الأدغال أو الأكواخ ويعدّونهم صورة للإنسان الفطري كما خرج من يد الطبيعة، فقد فضلوا كذلك الهنود الحمر على المتمدنين ويعدوهم سعداء في ظلِّ التقاليد والشريعة الفطرية وهذا يعود إلى جهلهم بالملكية ولا يعرفون المال بأنَّه منبع كُلّ الشرور[٢٠].

فالطبيعة هي الملاذ الوحيد من ضجيج الزحام وهذه النظرة إلى الطبيعة هي نفسها كانت عند الغرب، إذ كانوا يقدسونها ويعدونها ملاذاً آمنا، فكان(وردزورث) و(كولردج) و(بليك) و(روسو) ممن يأمنون بالطبيعة[٢١]، وهذا الشيء نفسه وجِدَ عند شعراء العصرين الأموي والعباسي، وقد نعدّها امتداداً لحُبّ الطبيعة واللجوء إليها من ذلك الزمن إلى أن وصلَ إلى الغرب ومن ثم تماهيه في الأدب العربي الحديث، فممن عطفو على الطبيعة مشاعرهم الشاعر ابن خفاجة(ت٥٣٣هـ)، إذ نجده يرسم لنا ليلاً بجناح غراب يعلوها مداداً من قلمه الأسود قائلا:

ولَيلٍ كما مدَّ الغرابُ جَناحَه، وسالَ على وَجهِ السِّجلّ مِدادُ
به من وميض البَرقِ، والليلُ فُحمةٌ شَرارٌ تَرامَى، والغَمامُ زِنادُ
سَريْتُ بهِ أُحِيّه، لا حيّةُ السُّرى تموتُ ولا مَيتُ الصّباحِ يُعادُ [٢٢]

والشاعر هنا – كما كُلّ شعراء الطبيعة الرومانسيين– يدمج الصور مع بعضها لتكون لوحة طبيعية رومانسية، وهذا الأسلوب قد يختلف عمّا كان عليه قديماً عند الشعراء في الوصف؛ لأنّه لم يصف حالة منفردة إنّما يجمع في لوحته أكثر من حالة، فالشاعر حينما أراد أن يصوّر لنا الليل، مالَ بطرفه إلى جنح الغراب؛ ليكون أكثر تأثيراً في وضوح الصورة بأنّ الليل في دجى دامس، كما وأنّه أكد هذا السواد القابع في سماء الشاعر كأنه حبر، أو مداد قد سال على ورقة بيضاء فحول لونها تدريجيا إلى سواد حالك، ويصوّر وميض البرق حين توهجهه شرار يترامى، وهو الجزء الآخر من لون الغراب الأبقع، ويأتي الشاعر بلفظة(سرى) التي يهواها الرومانسي لأنّها تعود إلى الليل الهادئ، وتُخيّم الأجواء الحزينة في سماء الشاعر مع فقدان الأمل برجوع من تلاقفته أيدي الموت إلى حيث لا رجوع، فالرومانسية تكمن في هذه الأبيات باختيار الشاعر لون جناح الغراب لطول ليله الحالك الظلمة، فضلاً عن اختياره الغراب نفسه ليكون معادلا موضوعياً ما يحس به من تشؤم؛ لكون الغراب مما كان يتطير به العرب.

وقد أحَبَّ الرومانسيون الليل لِما فيه من هدوء وصمت ووحدة، وكذلك لأنّه يُمحي الحدود والفوارق، وكذلك أحبوا فصل الخريف لأنّه يتناسب ونفوسهم الحزينة وركنوا إلى حُبّ النظر إلى الأطلال والديار الدارسة لأنّها ذكرى لم تزل من قلوبهم(٢٣).

لذلك نجد الرومانسي طالما جذب نظره النجم في كبد السماء والريح العاصف والسحاب والقمر الخافت ودفء الشمس وسقوط المياه من أعالي الصخور، وكُلّ هذه الصور والمشاهد مكانها العلو، فكان يخلع عليها مشاعره ويستلذ في طول النظر إليها، ونجد من شعراء العصرين الأموي والعباسي، مَن جسّدت أبياتهم الرومانسية حُبّ الليل أمثال العباس بن الاحنف إذ يقول:

لَمّا رَأيتُ الليلَ سدَّ طرِيقه عنّي وعذّبني الظّلامُ الرّاكدُ
والنّجمُ في كَبِدِ السّماء كأنّه أعمىَ تحيّر مَا لدَيه قائدُ
نادَيتُ مَنْ طرَدَ الرُّقادَ بنَومِهِ عَمّا أُعالِجُ وهوَ خِلْوٌ هاجِدُ (٢٤)

فالشاعر هنا يصوّر لنا كيف وضِعتْ الحواجز بينه وبين من يحُبّ، من خلال الليل الذي كان مانعاً، إذ سدَّ طريق الشاعر من خلال سواد الليل الذي يَعدّه الشاعر ما يُجلب العذاب والألم، وأن وصف الشاعر ذلك الظلام بالراكد تأكيداً منه ببقاء ذلك الظلام في قعر الليل كما يكون الحزن راكداً في قلب الشاعر، ومن الطبيعي أن تكون النجوم قد اعتلتْ سماء ذلك الليل المظلم، لتقوم بوظيفتها الطبيعية وهي دليل الضالين عن الدروب الصحيحية، وبوصلة الطريق الصحيح التي يأملها الناظر، إلا إن الشاعر جاء بالمفارقة الكبيرة التي تسبّبت بصدمة المتلقي حينما قال: إن ذلك النجم(أعمى تحيّر ما لديه قائد) فجرّد النجم من وظيفته، فهذا التيهان وهذه الفوضى هي ما كان يشعر بها الشاعر حينما نظر إلى السماء في الليل الذي هو مأوى الرومانسي.

وينمو شعر الطبيعة من عصر إلى عصر وتبقى ثيمة الليل لها وقع في نفوس الرومانسيين، فغالبا ما يكون الليل خفاءاً للحقيقة، والظلام نكراً للواقع، إلا إنّ الرومانسيين خلقوا من ذلك الليل وتلك الظلمة يقيناً وحقيقة

لكُلّ سؤال قد يرد، فالليل مرتعهم والظلام مؤنسهم يحلمون فيه ويتفكرون فيه ويتغازلون فيه، فالشاعر الشابي في العصر الحديث جسّد هذا القول بابيات شعرية يقول فيها[٢٥]:

أبداً! أنتَ حالمٌ، فسأل اللّيــ ــلَ فعند الظّلامِ عِلمُ اليقينِ [٢٦]

فالرومانسي عاشق الليل لذلك قال عنه علم اليقين، فهو يهيم في الليل ويكون ضالته المنشودة، فقلب القوانين الوضعية هو ما ذهب إليه الرومانسيون، فالليل أنيس ونديم لهم يرون فيه الملجأ والحقيقة التي لا يعرفها أهل النهار والمدينة، وهي من الصور الصادمة التي اعتاد عليها الرومانسيون في تصويرهم للطبيعة.

ويكتمل نمو ولع حُبّ الطبيعة من القديم إلى الحديث بما أحس به اصحاب المدرسة الرومانسية من علاقة بينهم وبين الطبيعة، فلا شك أنّ الرومانسيين الغرب تربطهم علاقة حميمة بالطبيعة، كما هي عند الرومانسيين العرب، فهي صديقة ونجية، فهم –الرومانسيون الغرب–(يسبغون عليها العواطف التي تتفق وعواطفهم، أنهم يرونها حزينة أو فرحة أو كئيبة أو هادئة، وقد يرونها خفية الأسرار، وهم يحسونها ترتعش مع نبض قلوبهم)[٢٧].

ويؤكد أحد الباحثين أن شعر الطبيعة ليس حكراً على الرومانسية الغربية بمصطلحها الجديد – الرومانسية– ففي الشعر العربي القديم قد تحققت شروط الرومانسية التي ارتبطت بالطبيعة المستلهمة من الأسطورة، فوجدنا هذا الإرتباط في معلقة أمرىء القيس بوصفه لليل والسيل وكذلك عند شعراء العصر الأموي من عشاق وعذريين وكذلك عند شعراء العصر العباسي أمثال ابن الرومي وأبي فراس الحمداني، فضلاً عن وجود تلك الملامح في شعر الحُبّ الإلهي والمديح النبوي والتصوف[٢٨]، فهناك مَن وظّف الطبيعة لتكون خير وسيلة لخلع مشاعره عليها ومنهم الشاعر محي الدين محمد بن علي بن عربي الصوفي الأندلسي فقد اتخذ من نواح الحمامة وسيلة لانبجاس دموعه قائلاً:

ناحت مطوقةٌ فحنَّ حزينُ وشجاهُ ترجيعٌ لها وحنينُ
جرتِ الدموعُ مِنَ العيونِ تفجّعاً لحنينها فكأنهنَّ عيونُ
طارحتها ثكلا بفقدِ وحيدها والثكلُ من فقدِ الوحيدِ يكون
طارحتها والشجو يمشي بيننا ما إن تبين وإنني لأبين [٢٩]

فالمطوقة هنا كانت محفزاً طبيعياً للشاعر الذي يبحث عن أي شيء يساعده على بثّ حزنه وعذاباته، فكان ما تردده من صوت حزين قد تسبب بجريان دموع الشاعر حزناً وألماً، وهذا هو الإرتباط الحقيقي مع الطبيعة بكلّ ما فيها من مظاهر وكوامن.

فالشعراء الغرب الرومانسيون ينظرون إلى الطبيعة كما يَنظر إليها باقي الرومانسيين إليها، فهو يخلع شياً من مشاعره على الطبيعة التي طالما توجه إليها الرومانسي حينما يصيبه اليأس والحزن، فالليل والنجوم والقمر والهدوء الذي يُخيّم في تلك الليالي هو مطلب الرومانسي دائما، فضلاً عن ذلك نجد أنّ المشاعر نفسها التي خلعها الشاعر الرومانسي في الغرب على القمر والغروب، قد خلعها الشاعر العربي في العصور القديمة والحديثة منها، وهذا ما تلمسناه في الأبيات الشعرية عند كثير من شعراء العصرين الأموي والعباسي، فابن

الرومي ممن عشق الطبيعة، ونالَ منها، وامتزجت فيه عِبرَ ما عبّرَ عنها في أبياته الشعرية التي يصفها بأعذب الكلمات، فنجده يقول في وصف الغروب مشاعر ملؤها الرومانسية فيقول:

إذا رنَّقتْ شمسُ الأصيل ونَفّضَتْ على الأُفقِ الغَربيّ وَرساً مُذعذعا
وودّعَت الدنيا لتقضيَ نحبها وشوَّل باقي عمرِها فتشعشَعا (٣٠)

فهذه الصورة الجميلة التي رُسمت بأنامل فنان رومانسي زاوج بين ما شاهده من مناظر في الطبيعة التي حوله وبين ما يشعر به في داخله، فكانت صورة الشمس وقت الغروب وهي تتلون بلونها المائل إلى الصفرة كأنها ورساً، وهي الأزهار التي تكون بلون أصفر وهو بهذا ينقل لنا صورة الشمس وهي عليلة محملة بالهموم وكأنها في ساعاتها الأخيرة، مودعة للدنيا ومستقبلة لحتفها وهو في الحقيقة ما يشعر به الشاعر من انقضاء العمر وبداية التوجه للمثوى الأخير حيث الخوف من المجهول، وهذا ما يقلق الرومانسي.

وإذا قلنا بتطابق الموضوعات وورودها في كلا الشعرين العربي القديم والغربي الحديث فهذا لا يعني أنّ الأدب الغربي أو العربي الحديث قد سار على الموضوعات نفسها بنفس الإطار على الرغم من تلاقي السمات والملامح، فأنّ الشعر الأموي حينما جاء(كان في تناوله للطبيعة امتداداً للشعر الجاهلي في موضوعاته وفي صوره وأخيلته)(٣١) إذاً هو نمو، فهناك من حاول التمييز بين الشعر الرومانسي الحديث وبين الشعر القديم في تجديد تلك الموضوعات، فالليل –مثلا– أطال القدامى في وصفه ومدى طوله وتأثيره على العاشق، وهذا ما شابه كثير من الشعراء الرومانسيين المحدثين، إلا إنّ وصف المساء مثلاً، تفرّد فيه المحدثون دون القدامى، وهذا يُحسب للشعر الرومانسي الحديث(٣٢).

ونجد أنّ هناك آخر يؤكد بأنّه إذا تتبعنا شعر الطبيعة منذ ظهور الشعر في العصر الجاهلي، نجده قد تطوّر شيئاً فشيئاً تبعاً لِما يطرئ من تمدن على تلك الأقوام، وأُشاطر من يقول(وإنّنا لنتبين في العصرين الأموي والعباسي أزدهار شعر الطبيعة الوصفي الذي حرص على وصف المظاهر الطبيعية كما عرضها الجاهلي مضيفاً إليها اشكالاً مستحدثة تسربت من مدنيات الشعوب المغزوة والبلاد المفتوحة)(٣٣)، ومن ذلك نجد الشاعر الصنوبري يقول في زهور وقع نظره عليها فقام بخلع شيء من مشاعره عليها فقال:

زَهْرُ الرياضِ إذا هي ابتسمتْ تدعو فيسرعُ نحوها الخلقُ
فتظلُّ تنطقُ وهي ساكتةٌ إنَّ الرياضَ سكوتُها نُطْقُ (٣٤)

فالشاعر أعلم بهذه الرياض من غيره؛ لكثرة وروده اليها ما صبحت طريقه المعتاد، وزهرها يجذب الخلق حين تتفتح مبتسمة، وكأنها تزيل بهذه الابتسامة ما يعلو الشاعر من حزن قابع في صدره، ويجالسها إلى أن تغيب الشمس، فتبدأ الورود بالانطباق والسكون لإنتهاء يومها وانتظار يوما جديداً لا يُعرف له اسراً، فيصور الشاعر لنا حين تتفتح الأزهار فأنّ في تفتحها تشبه الابتسامة حينما تتفتح الشفتان وتتكشف الابتسامة من بين ثناياه، وكذلك الوردة حين تتفتح أكمامها كأنها ثغر يبتسم، فيترك هذا التفتح الفرح والانشراح، وأن انغلاق الزهور لاكمامها مثل انطباق الشفتين نحو الفم ويعني الصمت المطبق، أي السكون أو الذبول الذي يعني الفناء عند

الشاعر فهذا السكون وهذا الصمت يحمل أنواع الحزن والروع من مصير محتوم أقلق الشاعر كثيراً، وهو لغة يعيها الشاعر الرومانسي لقربه من هذه الطبيعة ومن هذه الرياض.

ولطالما وظّف الرومانسيون الطبيعة لتكون ملاذاً لهم، فقد وجّه العشاق نحو الريح نداءاً يرجون بها راحة من حزن قابع، فالشاعر الشريف الرضي يقول في بعض تلك الطبيعة:

ياروضَ ذي الأثلِ من شرقيّ كاظمةٍ قد عاودَ القلبَ من ذكراكَ أديانا
أمُرّ بالركبِ مجتازاً بذي سلَم لوما شريتُكَ بالأوطان أوطانا
شغلتَ عيني دُموعاً والحشى حُرقا فكيف ألّفتَ أمواها ونيرانا
أشم منكَ نسيما لستُ اعرفهُ أظنّ ظمياءَ جرتْ فيكَ أردانا
أشبهتَ أظعانَ ذاك الحيّ مِن يَمَنٍ طيباً وحسناً واغصاناً وكثبانا
لو أستطيع لمّا سافتك سائفة ولا جناك فتى رنداً ولا بانا
ألقاكَ والقلبُ صافٍ من رجيع هوىً وأنثني عنكَ بالأشواقِ نشوانا
ولا تداويتُ من قُرحٍ فَرَى كَبَدي ولا سقاني راقي الحي سلوانا
يقولُ صحبي وقد أعياهمُ طربي بعضَ الأسا إنّما أحببتَ إنسانا [٣٥]

فالشاعر يمرُّ على روض وقد هيّجت الذكرى في قلبه الحزين، ما جعلته يلتهب حرقة ويذرف دموعاً، وهذا ما وقف عنده الشاعر متسائلاً كيف اجتمعت النار التي في قلبه مع المياه التي هي دموعه الجارية حزناً وألماً، وهذه من صور الرومانسي الذي يلجأ غالباً إلى الصور الصادمة؛ لاستقطاب المتلقي أو لبيان ما يعتريه من اضطراب وأرباك أثر ما فيه من هيجان ولوعة، فكانت الطبيعة هنا خير ما خلع الشاعر من مشاعره عليها.

ولكي نكون منصفين في أصدار الأحكام يجب أن نبيّن، أن شعر الطبيعة مصطلح حديث لم يكن معروفاً آنذاك في العصور القديمة الأموي منها والعباسي، إلا أنّ ما جاءت به الحداثة الغربية من مصطلح(شعر الطبيعة) في القرن الثامن عشر مع ظهور الرومانسية[٣٦]، ومن ثم تسويقها للبلاد العربية، قد حمل العناصر نفسها التي وجدت في أبيات متناثرة هنا وهناك في الشعر العربي القديم، بغضِّ النظر عن قصدية الشاعر وخوضه في هذا المجال من شعر الطبيعة.

وهناك من يرى الشاعر ذو الرمة امتداداً لشعر الطبيعة في العصر الجاهلي، وهو انعطافة للشعر في أزهى عصوره، إذ اتجه الشعر في زمنه إلى الكفاح الديني والسياسي، إلا أنّه انفرد عن شعراء الجاهلية؛ لكونه لم يجعل شعر الطبيعة وسيلة للوصول إلى غاية كالمدح أو غيره من الأغراض، أنّما جعل شعر الطبيعة غاية الشاعر، وكذلك بدقة ملاحظته عِبر ما جاء به من الصور الجزئية المتناثرة، وأيضا جمع بين الوصف الحسي والنفسي للطبيعة الحيّة، وتميّز في تصوير مناظر الطبيعة وهي في حركة دون سكون[٣٧]، إذ نجده في بعض أبياته يقول:

وأرضِ فلاةٍ تسحَلُ الرّيحُ متنها كساها سوادُ اللّيلِ أرديةً خُضراً [٣٨]

فالشاعر صوّر نفسه في تلك الأرض الفلاة التي تكون خالية من الناس والزرع، أي صحراء ممتدة مخيفة مقلقة بسبب ضيق هذه المفازة وما تخبئه من مفاجآت، فضلاً عمّا فيها من قلق وخوف من طول امتداد تلك الأرض يأتي سواد ليلها الذي يضيف إلى الشاعر الرومانسي مخاوف أكثر؛ لتوجسه مما قد يحدث ويكون، ومن ثم يأتي بصورة حيّة للريح وهي تجوب تلك الأرض، خالعاً ما في داخله من هموم وأحزان على تلك الأرض المتعبة التي أنهكتها قوة الريح العاتية وكأنها تأخذها بصورة مذلة إلى حيث لا تريد.

ولا ريب أنّ للرومانسية خصائصها التي تختلف عمّن سواها من الحركات التي سبقتها أو تلتها، فعند الأطلاع على ما وجِدَ من تناقضات في مشاعر الشعراء العرب قديما من حُبّ الليل وتفضيله على النهار، وحُبّ القفر وتفضيله على الزحام، وحُبّ الموت وتفضيله على الحياة، أشاطر من يجدها سمة بارزة عند أغلب الشعراء المعاصرين، فقد حوت أشعارهم على هكذا لون من التغزل بالظلام ووصفه بالجمال(٣٩)، وقد أَحَبّ الرومانيسون الغربيون الليل؛ لكونه مليئاً بالأسرار، ولأنّه مثار الأحلام ومعبر إلى النهاية، وهذه سمة صوفية في الأدب الرومانسي(٤٠)، ولها مثيلتها في الأدب العربي، فالشعراء العباسيون قد جابوا هذه التناقضات وتمثلت في كثير من أشعارهم.

ولا يفوتنا أنّ نؤكد تأثر شعراء الغرب بالصور الشعرية التي صوّرت الطبيعة بجمالها الساكن والمتحرك، وهذا يؤكد ما قلناه باديء ذي بدئ بأنّ(الناس هم الناس في كل قطر وفي كُلّ جيل والتباين قليل في الميول وفي تذوق الوان الحياة، وأنّ عظم الفرق حيناً في التعبير عن نزعات النفوس وشهوات العقول)(٤١).

إذاً هي المشاعر الرومانسية نفسها مع الطبيعة الخلابة نجدها في العصر العباسي، التي دعت الصنوبري شاعر الطبيعة أن يخلع مشاعره على الرياض فيقول:

كم ثنايا وكم عيونٍ مراضِ … من أقاحٍ ونرجسٍ في الرياضْ
كم خدودٍ مَصونةٍ من شقيقٍ … لم تُبذَلْ للّثمِ أو للعِضاضْ
اعترضْ باطنَ الشقيقِ ففيه … طُرَفٌ ما يملُّها ذو اعتراضْ
جُمَمٌ سُرّحت بلا مُشُطٍ أو … طُرَرٌ قُصّصَتْ بلا مقراضْ
حُمرة فوق خُضرة وسواءٌ … بين هذين مُعلَمٌ ببياضْ (٤٢)

وقد يعلو الحزن واليأس بعض الأحيان صوت الشاعر حينما يقلّب طرفه باتجاه أزهار في رياض(ولا ريب أنّ الطبيعة عند بعض الرومانسيين تمثل دوراً خطيراً في حياة الإنسان الرومانسي على المستويين الفكري والفني، فهي من ناحية ملاذ الإنسان المفجوع)(٤٣) ومن ناحية أخرى مرآة صادقة يخلع عليها مشاعره فتحاوره وتفهمه وتبكي معه، فالشاعر الرومانسي قد تمتع بحسّ مرهف، جعل أحساسه بالطبيعة عميق، فهي تحسّ به كما هو، فيتشاركا الألم والأحزان والهموم، وكأنها جزءاً منه وكأنه جزءاً منها، يسيرُ فيها كأنّه الراعي حين يتفقد رعيته، يُزيل عمّن يجد فيه آثار الحزن حزنه(٤٤)، وهذا ما وجِدَ عند الرومانسيين الغرب والعرب على حدٍ سواء.

ومما يؤكده أكثر الدارسين، أنّ ما اتخذه شعراء الغرب الرومانسيون من سمة الحديث عن الطبيعة حتى ظنّوا أنّهم تفردوا في ذلك ولا يشاركهم فيها أحد من العالمين، أمر مجانب للصواب؛ وذلك لكون شعراء العرب قد ورِدوا هذا المنهل، ونقعوا صداهم بمائه، فالطبيعة ليست حكرا على فئة أو حقبة، وإنّما ملك لجميع العيون وفي جميع الأقطار التي تحمل من العواطف ما يجعلهم يهيمون بما في الطبيعة من سحر[٤٥]، وإذا تأملنا فيما جاء به أبن خفاجة من صور نجد عمق المنهل الذي ارتوى منه من جاء بعده من رومانسيين، إذ يقول:

وَكِمَامَةٍ حَدَرَ الصباحُ قِناعَهَا، عن صَفحةٍ، تندى منَ الأزهارِ
في أبطحٍ وضِعَت ثغورُ أَقاحِه أخلافَ كُلِّ غمامةٍ مِدرارِ
نثرتْ، ببحرِ الأرضِ فيه، يدُ الصَّبا دُرَرَ النَّدى ودراهمَ النُّوّارِ
وقد ارتدى غصنَ النَقا، وتقلّدتْ، حَليَ الحَبابِ، سَوالِفُ الأنـهارِ
فحَللتُ حيثُ الماءُ صفحَةُ ضاحكٍ، جَدلٍ، وحيث الشطُّ بدءُ عِذارِ
والريحُ تنفُضُ، بُكرةً، لِممَ الرُّبى، والطّلُّ ينضَحُ أوجُهَ الأشجارِ[٤٦]

فالشاعر بدا وكأنّه فنان يرسم لوحة من روضة عاش احساسها وتنفس حركاتها وسكناتها، فراح يصوّر لنا الصبح وهو يتنفس من رحيق الأزهار ليبدو في ابهج حال، والغمام يروي حجر الأرض لتتلألأ نوراً وضياءً، ويرسم لنا الأنهار وهي جارية، والريح وهي تمسح حبين الأوراق والرياض لتكون بأبهى صورة، فهذه الصور التي رسمها الشاعر من وحي الطبيعة تعكس ما فيه من مشاعر نثرها على تلك الطبيعة.

ولابد أن نقف على بعض المظاهر التي إنماز بها الشعر في العصور القديمة امثال العصر العباسي، والتي تُعدّ من قِبل بعض النقاد تطوراً، ففي هذا العصر تطورت ملامح شعر الطبيعة، إذ كان لتجدد البيئة الحضرية أثراً بارزاً في تطور تلك الملامح، ومنها لجوء الشعراء إلى أنسنة الطبيعة، وهي اعطاء لِما يوصف حركة وحياة مع جموح في الخيال، فضلاً عن نزع المشاعر عليها، مما يثير التعاطف بين الطبيعة والإنسان[٤٧].

وقد يكون هناك شعراء في العصر العباسي امثال أبن الرومي ابدعوا في لجوئهم إلى تلك الأنسنة، فقد كان يجد في النظر للطبيعة انعكاساً لِما يحمله من ألم وقلق وحزن، حتى قيل فيه أنّه مثّل(الاتجاه الإبداعي(الرومانسي) بكُلِّ مقوماته الفنية، وذلك قبل أن تتضح معالم المدرسة الأبداعية وبقرون)[٤٨]، وهذا ما يؤكد نمو السمات الرومانسية وتدرجها من عصر إلى آخر، وقد تكون الأبيات التي جاء بها ابن الرومي خير شاهدٍ لِما تطرقنا إليه، والتي يصوّر فيها غياب الشمس ووداعها، وما يحيط بها من اصفرار، إذ يقول:

ولاحظتِ النُّور وهي مريضةٌ وقد وضعتْ خدّا إلى الأرض أضرعا
كما لاحظتْ عُوّاده عينُ مُدنفٍ توجّع من أوصابه ما توجّعا
وظلّتْ عيونُ الروض تخضلُّ بالندى كما اغرورقتْ عينُ الشجيِّ لتدمَعا
يُراعينـها صُوراً إليها روانياً ويلحظنَ ألحاظاً من الشّجو خشّعا
وبيَّنَ إغضاءُ الفِراقِ عليهما كأنَّهما خِلاً صفاء تودّعا

وقد ضربتْ في خُضرةِ الروض صُفرةٌ من الشمس فاخضرَّ اخضراراً مشعشعا
وأذكى نسيم الروضِ ريعانُ ظلّهِ وغنّى مُغّني الطير فيه فسجّعا (٤٩)

ما من متلقي لهذه الأبيات إلا ويظنُّ أنّ الشاعر يصوّر قصة لإنسان وهو في لحظاته الأخيرة، يكابد الالم ويتجرع غصات الموت في ساعته الأخيرة، فقد صوّر الشاعر بروح شاعرة رقيقة هذه الساعات أو الدقائق من عمر الشمس وهي تودع النهار إلى ليلٍ داجي، وهي تتألم في ذهابها إلى مأواها متوجعة من شدة ما فيها من حزن، وكيف إنّها بدت شاحبة الوجه مصفرة، حتى أنّ الطير قد سجع حزناً لفراقها، فبهذه المشاعر التي جسّد فيها الشاعر ابن الرومي صورة الشمس وهي في أثناء غروبها وكأنها إنسان ساعة توديع الحياة، فقد يكون ممن أثبتَ أنّ في العصر العباسي ابداعاً يضاهي ما موجود في العصور الحديثة.

وقد يكون الشاعر ابن المعتز جاء باللوحة نفسها وهي احتضار الشمس حين غروبها كما الإنسان ساعة الموت، وذلك عندما يعلوها الغيم الكثيف فيحاول أن يُطفئ نورها فيقول:

كأن الشمسَ يوم الغيم لحظٌ مريضٌ مدنفٌ من خلفِ سترٍ(٥٠)

وما هذه المشاعر التي خلعها الشاعر على الشمس ساعة تلبُد السماء بالغيوم إلا انعكاس لحالة الشاعر وما فيه من هموم اعتلت صدره فأصبحت مدلهمة بالأحزان والهموم سوداء قاتمة من شدة الأحزان والمرض، فقد خلع شيئاً من مشاعره على يوم غائم يشبه نفسه السوداء الحزينة المريضة، فأصبح كالشمس التي غطاها السحاب وهي تستتر مضطرة كأن بها علة، فهذه المشاعر الرومانسية تَنُمُّ عن قدرة الشاعر في خلق معادلاً موضوعيا بينه وبين المتلقي؛ ليجعله يتأمل كثيراً فيما يحمله الشاعر من هموم وعلل.

وإذا عرّجنا على ذي الرمة الذي عدّهُ بعضهم من(العشاق العذريين) لدقة مشاعره، إلا أن أغلب صوره العاطفية تعتليها الفحولة، وهذا الأسلوب بعيد عن أسلوب البساطة الذي كان يخيم على العذريين من العشاق(٥١)، نجده قد رسم لنا الصورة نفسها من احتضار الشمس على الرغم من التباعد الزمني بمن سبقه من الشعراء الذين جاؤنا بالصور السابقة، فنجده يقول:

فَلمّا رَأينَ اللّيلَ، والشَّمسُ حَيّةٌ حَيَاةَ الّذِي يَقضِي حُشَاشَةَ نازِعِ
نَحاها لِثَأجٍ نَحوةً ثُمَّ إنَّهُ تَوَخَّ بها العينينِ عَينَي مُتالعِ(٥٢)، (٥٣)

فالصورة التي جاء بها الشاعر تحمل من الحزن والألم ما يجعلنا نشعر بذلك الحزن الشديد الذي ينازعه الشاعر، فهو بمجرد أن رأى الشمس وهي مغيبة تحت وطأة الغيوم محاولة أن تبقى حيّة مضيئة تذكر حالته وما فيه من النزاع نفسه، فهذه الصورة الرومانسية تجسّد قدرة العرب قديماً على خلع مشاعرهم على الطبيعة كما هو الحال عند الرومانسيين المحدثين من الغربيين والعرب.

وقد لا يكون لجوء الشاعر الرومانسي للطبيعة فقط ملاذاً من المدنية والمدينة، إذ أن هنالك مَن اتخذها بديلاً لِما صَعُب عليه تحقيقه في أرض الواقع، لذا لجأ إلى الطبيعة لتكون الأرض الخصبة لآشباع رغباته، وهذا ما قَدِمَ عليه ابن الرومي حينما صوّر الرياض فتاة جميلة(٥٤)، إذ يقول:

ورِياضٍ تَخَايَلُ الأرضُ فيها خُيَلاء الفتاةِ في الأبرادِ
ذاتِ وشيٍ تَناسَجتْهُ سَوارٍ لبِقَاتٌ بحَوكهِ، وغَوَادِ
شَكَرَتْ نعمةَ الوَليّ على الوَسـ ميّ ثم العِهاد بعد العِهادِ
فهي تُثْني، على السماء، ثناء طيِّب النشرِ، شائعاً في البلادِ
من نسيم، كأنَّ مَسراهُ، في الأر واح مَسرَى الأرواحِ في الأجسادِ
حَمَلَتْ شُكرَها الرياحُ، فأدّتْ ما تُؤدّيه ألسُنُ العُوادِ
مَنْظَرٌ مُعْجِبٌ تحيَّةُ أنف رِيحُها ريحُ طيِّب الأولادِ
مَسمع مُطرب إذا شئت مُلهٍ لك عن كلّ طارف وتلادِ
تَتَداعى بها حَمَائمُ شتّى كالبواكي، وكالقِيَان الشّوادي
مِن مَثانٍ مُمَتعات قِرانٍ وفرادٍ مفجّعات، وحِادِ
تَتَغَنّى القِرانُ في الأيـ ــك، وتبكي الفِرادُ شَجو الفرادِ (٥٥)

إن جمال الطبيعة قد يفتن أيّ إنسان، إلا أن الرومانسي ليس ككلّ مَن ينظر إلى تلك الطبيعة، فنظرته تختلف تماماً، فالشاعر في هذه الأبيات قد نظر إلى تلك الطبيعة في روضها وكأنها فتاة جميلة، ولا شك إن هذه النظرة هي خاصة بالشاعر وحده، ولا تجدها عند غيره ممن وقع نظره عليها، بسبب ما يحمله الشاعر نفسه من مشاعر وما يعتري تلك المشاعر شيئاً من البهجة والفرح لفترة قصيرة ليمتع بها نفسه القاتمة السواد، فنجد نظرته لتلك الروضة وهي تكتسي أبهى الألوان وكأنها فتاة قد تجملتْ وتعطرت لتكون حبيبته التي لم يحصل عليها في عالم الحقيقة لذا وظّف الطبيعة لتكون عالمة الخيالي في تحقيق رغباته المكبوته، وهناك من يرى أن ابن الرومي(لا ينقل مظهر الطبيعة في الروضة بل يفسّره ويعلّله ويظهر مراميه أو يفضَّ رموزه، فكأنه رسالة صامته الحروف، ينبغي أن ينفذ منها إلى المعنى الذي تشير به إليه)(٥٦) وهذا هو الفرق بين النظرة إلى الطبيعة من قِبل الرومانسي وغير الرومانسي.

وقد لا اتفق مع من يقول أنّ العصر الأموي خالٍ من شعر الطبيعة، أو هو نادر فيها(٥٧)؛ وذلك لِما وجِد من أبيات شعرية لا تقل شأناً عمّا سواها في العصور الأخرى- نعم- أقر بالتطور والتقدم والتغيير الذي يطرأ على الأمم والبقاع بين حقبة وأخرى، وهذا التجدد يخلق معه تجدد في الأفكار والخيال والأحاسيس، ما يجعل المتلقي يحكم على من سبقهم بعدم وجود هذا الأحساس العميق للطبيعة في العصور التي سبقت العصر الذي هو فيه أو يدرسه، فضلاً عن أنّ من يزعم خلو العصر الأموي من شعر الطبيعة أو ندرته يقرُّ في موضع آخر بوجوده، وأنّه جميل، وقد تجسّد في مظاهر الطبيعة وصوّر البرق والرعد والسحاب على الرغم من عدم تلذذ الشاعر بما يقول(٥٨)-كما يصف صاحب الكتاب-.

ولا شك أنّ الآراء كثيرة في الحكم على شعر الطبيعة بين الحديث والقديم، ولكلٍ رأيه، فهناك من يقول أنّ الشعر العربي منذ ظهوره قد احتفى بالطبيعة واعتنى بوصفها في شعره، حيّها وجامدها، بلغة شعرية محسوسة

تلائم التركيب النفسي والأدراكي والعاطفي للعربي(ومعنى هذا أنّ الشعراء لم يتجاوزوا العيني والمباشر المحسوس إلى تركيب رمزي يتصل بالمجرد من خلال التيار الخيالي المتمثل في الطابع الحسي للصور والأشكال)[٥٩] فوصف الشعراء السحاب المتراكم التي تسوقه الريح بعد جفاف ومحل لتتساقط أمطاراً لتخضّر الأرض، ووصفوا الليل وما يعبّر به الرومانسي عن عزلته وخوفه، والوحوش التي اتخذها أنيساً[٦٠]، فقد يكون هذا الرأي قابل للنقاش؛ بسبب ما أقره بعض النقاد– ممن ذُكر رأيهم في مظان المبحث– من أن الشعر العربي القديم قد استطاع أن يدمج الإنسان بالطبيعة، ليكونا روحين في جسم واحد، وهذا ما أثبتته الأبيات الشعرية التي أُستشهد بها.

وأخيراً قد نتلمس – على الرغم من أن أعذب الشعر أكذبه– أنّ هناك ترابط بين شعر الطبيعة والصدق والعفة والقداسة التي وجدت عند الشعر الرومانسيين، وان(هذا اللون من الشعراء المخلصين في الحُبّ الصادرين عن أنفسهم، قد كان لعنصر الصدق في شعرهم أثر في شعر الطبيعة)[٦١]، وقد انعكس أيجابياً من خلال ما خلعه من مشاعر جياشة على تلك الطبيعة بكافة صنوفها وهيئاتها.

مصادر ومراجع البحث

*ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره، ايليّا سليم الحاوي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩م.

*جماعة الديوان شكري – المازني – العقاد، د. يسري محمد سلامة، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٧م.

*الخيال الشعري عند العرب، ابو القاسم الشابي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢م.

الدراما ومذاهب الأدب: ١٨٠.

*ديوان ابن الرومي، شرح: الأستاذ أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط٣، ٢٠٠٢م.

*ديوان ابن المعتز، دار صادر، بيروت، (د.ت).

*ديوان ابن خفاجة، شرحه، د.عمر فاروق الطّباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت– لبنان،(د،ت).

*ديوان ابو القاسم الشابي ورسائله، شرحه: مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٤م.

*ديوان الشريف الرضي،المطبعة الادبية، بيروت، ط١، ١٣٠٧هـ.

*ديوان الصنوبري أحمد محمد بن الحسن الضبي، تحقيق، د.إحسان عباس، دار صادر، ط١، بيروت، ١٩٩٨م.

*ديوان العباس بن الأحنف، دار صادر، بيروت، ١٩٧٨م.

*ديوان ترجمان الأشواق لابن عربي، عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت – لبنان، ط١، ٢٠٠٥م.

*ديوان ذي الرمة، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٦م.

*ديوان قيس ابن الملوح مجنون ليلى، رواية ابي بكر الوالبي، دراسة وتعليق: يُسري عبد الغني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط١، ١٩٩٩م.

*ذو الرمة شاعر الطبيعة والحُبّ، كيلاني حسن سند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٣م،(د.ط).
*الرمز الشعري عند الصوفية، د. عاطف جودة نصر، دار الأندلس للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٧٨م.
*الرمزية والرومانسية في الشعر العربي، فايز علي، القاهرة، ٢٠٠٣م، (د.ط).
*الرومانتيكية، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة.(د.ت).
*الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية، نغم عاصم عثمان، المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، العتبة العباسية المقدسة، كربلاء، ط١، ٢٠١٧م.
*الرومانسية في الأدب الأوربي، بول فان تيغيم، ترجمة: صياح الجهيم، منشورات وزارت الثقافة والإرشاد، دمشق، ١٩٨١م، (د.ط).
*الرومانسية في الشعر العربي المعاصر – شعر ابي القاسم الشابي أنموذجا، د. عبد الحفيظ حسن، دار الكتب المصرية، القاهرة، ٢٠٠٩م، (د.ط).
*شعر الطبيعة في الأدب العرب، د. سيد نوفل، مطبعة مصر شركة مساهمة مصرية، مصر، ١٩٤٥م، (د.ط).
*الصنوبري شاعر الطبيعة– شاعر حلب، د.عبد الرحمن عُطبة، دار الأوزعي، لبنان – بيروت، ٢٠٠٥م.
*في الرومانسية والواقعية، د. سيد حامد النسّاج، مكتبة غريب، مصر،(د.ت).
*في العصر الجاهلي والأموي، عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٧م، (د.ط).
*مدامع العشاق، زكي مبارك، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.
*مدخل إلى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر، الاتباعية، الرومانسية، *الواقعية، الرمزية، د. نسيب نشاوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٨٤م، (د.ط).
*المذاهب الأدبية لدى الغرب، عبد الرزاق الأصفر، اتحاد الكتّاب العرب، ١٩٩٩م،(د.ط).
*الموت في الشعر العربي الحديث، د. أحمد بكري عصلة، منشورات مركز المخطوطات والتراث والوثائق، ط١، ٢٠٠٠م.
*نثار الأزهار في الليل والنهار، محمد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي(ت٧١١هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية،ط١، ١٢٩٨هـ.

هوامش البحث

(١) الصنوبري شاعر الطبيعة- شاعر حلب، د.عبد الرحمن عُطبة، دار الأوزعي، لبنان – بيروت، ٢٠٠٥: ٨١.

(٢) شعر الطبيعة في الأدب العرب: ٢٥.

(٣) ديوان قيس ابن الملوح: ٧٢.

(٤) الخيال الشعري عند العرب، ابو القاسم الشابي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، ٢٠١٢: ٣٧- ٣٨.
(٥) ديوان الصنوبري: ٣٤٣.
(٦) ينظر: الرومانسية في الأدب الأوربي:٢/ ٧٦-٧٧.
(٧) الرومانسية في الأدب الأوربي:٢/١٤٠.
(٨) ينظر: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية: ٧٥.
(٩) ينظر: شعر الطبيعة في الأدب العربي: ١١.
(١٠) جماعة الديوان شكري – المازني – العقاد، د. يسري محمد سلامة، مؤسسة الثقافة الجامعية، ١٩٧٧: ٩١.
(١١) ينظر: المذاهب الأدبية لدى الغرب: ٤٥.
(١٢) ديوان ابن المعتز: ٤٣٩.
(١٣) ينظر: شعر الطبيعة في الأدب العربي: ٦.
(١٤) ينظر: (م.ن): ٨-٩.
(١٥) ينظر: الرومانتيكية: ٣٣.
(١٦) ينظر: الصنوبري شاعر الطبيعة: ٨٥.
(١٧) ينظر: مدخل إلى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر: ١٨٣.
(١٨) ينظر: جماعة الديوان شكري – المازني – العقاد: ٩٧.
(١٩) ينظر: مدخل إلى دراسة المدارس الادبية في الشعر العربي المعاصر: ١٨٢.
(٢٠) ينظر: الرومانتيكية:١٩ و: ٧٤.
(٢١) ينظر: مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر: ١٨٢.
(٢٢) ديوان ابن خفاجة، شرحه، د.عمر فاروق الطّباع، دار القلم للطباعة والنشر، بيروت- لبنان: ٧٩.
(٢٣) ينظر: الدراما ومذاهب الأدب: ١٨٠.
(٢٤) ديوان العباس بن الأحنف: ١٠٢.
(٢٥) ينظر: الرومانسية في الشعر العربي المعاصر – شعر ابي القاسم الشابي أنموذجا: ١٥٢.
(٢٦) ديوان ابو القاسم الشابي ورسائله: ١٨٢.
(٢٧) الرومانسية في الأدب الأوربي:٢/ ٢٣
(٢٨) ينظر: الرمزية والرومانسية في الشعر العربي: ٤٠٣.
(٢٩) ديوان ترجمان الأشواق: ٦٧- ٦٩.
(٣٠) ديوان ابن الرومي: ٢/ ٣٣٨.
(٣١) الصنوبري شاعر الطبيعة:٨٤.
(٣٢) ينظر: الموت في الشعر العربي الحديث: ٣٤٢.
(٣٣) الرمز الشعري عند الصوفية: ٢٨٩.
(٣٤) ديوان الصنوبري: ٣٦٤.
(٣٥) ديوان الشريف الرضي: ٢/ ٢٨٩- ٢٩٠.
(٣٦) الصنوبري شاعر الطبيعة- شاعر حلب: ١٥٩.
(٣٧) ينظر: ذو الرمة شاعر الطبيعة والحُبّ، كيلاني حسن سند، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٧٣م،(د.ط): ١٧٦- ١٧٩.
(٣٨) ديوان ذي الرمة: ٤٨٦.
(٣٩) ينظر: الرومانسية في الشعر العربي المعاصر – شعر ابي القاسم الشابي أنموذجا: ١٢٤.
(٤٠) ينظر: الرومانسية بحث في المصطلح وتاريخه ومذاهبه الفكرية: ٧٤.
(٤١) مدامع العشاق: ١٠٤.
(٤٢) ديوان الصنوبري: ٢٢٥.
(٤٣) في الرومانسية والواقعية: ٢٤.
(٤٤) ينظر: الرومانسية في الشعر العربي المعاصر – شعر ابي القاسم الشابي أنموذجا: ١٢٧.
(٤٥) ينظر: مدامع العشاق: ١١٦.
(٤٦) ديوان ابن خفاجة: ١٠٧.
(٤٧) ينظر: الصنوبري شاعر الطبيعة- شاعر حلب: ٨٤.
(٤٨) (م.ن): ٨٤.
(٤٩) ديوان ابن الرومي: ٢/ ٣٣٨.
(٥٠) نثار الأزهار في الليل والنهار، محمد بن مكرم بن علي، ابو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي(ت٧١١هـ)، مطبعة الجوائب، قسطنطينية،ط١، ١٢٩٨هـ: ١/ ١٠٥.
(٥١) ينظر: في العصر الجاهلي والأموي: ٣٩٦.
(٥٢) متالع/ جبل بناحية البحرين بين السودة والأحساء، وفي سفح هذا الجبل عين يسيح ماؤها يقال لها: عين متالع. الديوان
(٥٣) ديوان ذي الرمة: ٢٨١.
(٥٤) ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره، ايليّا سليم الحاوي، مكتبة المدرسة ودار الكتاب اللبناني، بيروت، ١٩٥٩: ٣٣.
(٥٥) ديوان ابن الرومي: ١/٤٣٧.
(٥٦) ابن الرومي فنه ونفسيته من خلال شعره: ٣٥.
(٥٧) ينظر: الخيال الشعري عند العرب:٢٩.

(٥٨) ينظر: (م.ن): ٣١
(٥٩) الرمز الشعري عند الصوفية: ٢٨٧-٢٨٨.
(٦٠) ينظر: (م.ن): ٢٨٧-٢٨٨.
(٦١) شعر الطبيعة في الأدب العربي: ١٢٢.